الموضوع الانتقالي لدى الأطفال المسعفين وغير المسعفين بالروضة – دراسة عيادية مقارنة –

فطيمة موسى، علاف شهيرة
جامعة الجزائر 2

الملخص:

حاولنا من خلال موضوع بحثنا هذا، التطرق إلى حساسية العلاقة الأولى أم–طفل وأثرها البالغ على التطور النفسي، الوجداني والعلائقي من خلال إبراز أهمية الموضوع الانتقالي في سياق هذه العلاقة، حيث قمنا بإجراء دراسة مقارنة بين الأطفال المسعفين الذين حرموا من العيش مع أمهاتهم البيولوجية باختلاف سن انفصالهم عنهن والأطفال غير المسعفين الذين يعيشون مع أمهاتهم البيولوجية منذ ولادتهم، وذلك بهدف معرفة طبيعة تكوين الموضوع الانتقالي لديهم ومدى إمكانية تموضعهم في فضاء انتقالي، وللإجابة على تساؤلاتنا قمنا بإجراء المقابلة العيادية النصف موجهة وتحليل نتائجها ثم تطبيق اختبار الرورشاخ الإسقاطي واستخراج أهم المؤشرات الدالة على إبداع فضاء انتقالي أو صعوبة التموضع فيه.

الكلمات المفتاحية: العلاقة أم–طفل، الموضوع الانتقالي، الطفولة المسعفة، الرورشاخ.

مقدمة:

تعتبر الدراسات حول الطفل من أكثر الموضوعات التي لاقت ولازالت تلاقي اهتماما متزايدا من قبل الباحثين في ميدان الدراسات النفسية والاجتماعية، وذلك نظرا لحساسية هذه المرحلة وأهميتها في حياة الفرد وفي بناء شخصيته، حيث يتوقف نموه على العلاقات العاطفية التي يقيمها مع الأفراد المحيطين به، ويتم ذلك في بداية الأمر على مستوى الأسرة باعتبارها المكان الأول الذي ينشأ فيه الطفل، فهو يولد محملا بمخزون خام لا يعرف استعماله ويبقى على المحيط وخاصة الأم الجانب الأكبر والدور الأهم لمساعدته على تنمية قدراته، فهي أول موضوع بالنسبة له وتحديدا هي الشخص المسؤول عن الاعتناء به منذ لحظة الولادة، لذا فالعلاقة أم–طفل تلعب أهمية جوهرية في تشكيل شخصيته وجهازه النفسي.

يُمنح للموضوع الانتقالي أهمية كبيرة في سياق هذه العلاقة حسب Winnicott (1969)، وذلك لقيمته الخاصة في تسهيل الانتقال من التعلق بالأم إلى عناصر أخرى من المحيط، فهو ليس موضوعا مستدخلا مثل التصور النفسي وليس موضوعا خارجيا، بل هو

موضوع يقع في منتصف الطريق بينهما، إلا أن اختلال العلاقة الأولى أم–طفل أو انقطاعها من شأنه أن يؤثر على النمو النفسي للطفل وعلى نوعية العلاقات التي يمكن أن يطورها لاحقا، حيث نجد الكثير من الأطفال الذين انفصلوا عن أمهاتهم في السنوات الأولى من الحياة، ألزمتهم ظروفهم الخاصة إلى الخروج بغير إرادة منهم عن بنية السياق الطبيعي للمجتمع، ومواصلة العيش بعيدا عن أمهاتهم عن طريق التحاقهم بمؤسسات تكفل لهم مختلف حاجياتهم الأساسية وخاصة النفسية والاجتماعية منها.

ومن أجل تعميق معرفتنا لسيكولوجية الأطفال المسعفين بشكل عام وبشكل خاص الموضوع الانتقالي والبحث عن طبيعته لدى هذه الفئة التي شعرنا بمعاناتها من جراء الانفصال عن الأم والعائلة الحقيقية، ارتأينا أن ندرس الموضوع الانتقالي عند الأطفال المسعفين المقيمين بدار الطفولة المسعفة مع أمهات وعائلات بديلات مقارنة مع الأطفال غير المسعفين الذين يعيشون مع أمهاتهم وعائلاتهم الحقيقية.

1- الإشكالية:

تعتبر مرحلة الطفولة من المراحل الهامة التي تتطلب الفهم والدراسة والإلمام، وتعد السنوات الأولى من حياة الطفل أكثر أهمية وذلك لأثرها البالغ في بناء الشخصية وظهور ملامحها العامة، لقد تم التركيز كثيرا على السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل في عملية تطور الشخصية وبناء أسسها الهامة من طرف S. Freud (1901)، فخلال المراحل الأولى من التطور تظهر أهمية الاتصال والتعلق المبكر بين الأم ورضيعها، لأن الأم هي أول موضوع بالنسبة للطفل وتحديدا هي الشخص المسؤول عن الاعتناء به منذ لحظة الولادة. وقد أكد Winnicott (1969) أن الرضيع لا يمكن أن يتواجد لوحده بدون أمه فهو يعتمد عليها اعتمادا كبيرا لإشباع حاجاته الخاصة منذ الولادة، وتستمر تبعيته المطلقة حتى الشهر الخامس أين يبدأ في الشعور بالتبعية العلائقية معها.

للانتقال من مرحلة اللاتمايز إلى التمايز ومن التبعية المطلقة إلى التبعية العلائقية والاستقلالية التدريجية يستعمل الطفل الموضوع الانتقالي الذي يعد أول موضوع مادي بالنسبة له وذلك مابين الشهر الرابع والثاني عشر، هذا الموضوع يساعده على التمييز بين عالمه الداخلي والعالم الخارجي والقيام بتجارب الانفصال عن الأم وتحمل غيابها.

يوفر تعلق الطفل بصفة خاصة بهذا الموضوع الحماية والأمان الداخلي لأنه يمثل الرابط مع الأم في غيابها، فهو في النتيجة رمز الاتحاد بين شخصين منفصلين ومتصلين في آن واحد الأم والرضيع، إلا أنه في مجتمعنا نجد أطفالا افتقدوا أمهاتهم في مراحل مبكرة من طفولتهم إما لغياب طويل أو انفصلوا عنهن لأسباب أخرى كالوفاة، الطلاق، الإنجاب خارج العلاقة

الزوجية، الهجرة، التفكك الأسري...الخ، وقد احتضنت هؤلاء الأطفال مراكز تتولى مسؤولية رعايتهم والاهتمام بهم تتمثل في قرى الأطفال المسعفين.

لقد نفى Reymond-Rivier (1997) وجود أية ظاهرة انتقالية لدى مجموعة كبيرة من الأطفال المسعفين الذين التحقوا بمراكز الطفولة المسعفة بعد انفصالهم عن أمهاتهم، حيث بيّن Bertetti سنة 1987 أن الأطفال الذين يظهر لديهم فقر الفضاء الانتقالي يبرزون صعوبات في التمييز بين الحقيقة الخارجية، مشاعرهم الشخصية وهواماتهم الداخلية مما يؤثر على تطور الأنا والموضوع، كما أشارت استجاباتهم وتعاليقهم في اختبار الرورشاخ إلى غياب وعدم استقرار الحدود بين عالمهم الداخلي والعالم الخارجي، وبالتالي عدم قدرتهم على التموضع في فضاء انتقالي (in Haesevoets, 2000).

بعد الزوال التدريجي للموضوع الانتقالي بين 05 و 06 سنوات أي في السن التي يبدأ فيها الطفل بتأسيس علاقات أخرى غير العلاقة الموضوعية الأولى مع الأم، تظهر القدرة على استدخال علاقات ذات نوعية جيدة مع الأفراد والمحيط حسب Ajuriaguerra و Marcelli (1982)، فالخبرات الأولى المرتبطة بالاتصال الاجتماعي بما في ذلك الدخول إلى رياض الأطفال أين تختبر مكانة العلاقات المبنية بين الطفل ومواضيع التعلق وبالخصوص الأم أو البديل عنها، والطريقة التي يكون عليها الطفل خلال الثلاث سنوات الأولى من حياته ستتكيف فيما بعد في رياض الأطفال، وهذا التكيف يعني أن يصبح الطفل قادرا ليس فقط على البقاء منفصلا جسديا لمدة طويلة عن الأم لكنه يتعلق أيضا باستثمار أشخاص آخرين كالمربية والزملاء وتعلم العديد من قواعد الانضباط.

من هنا يبرز دور المؤسسات التربوية المتمثلة في رياض الأطفال التي تعمل على رعاية الطفل خاصة في المرحلة التحضيرية التي تسبق سن الالتحاق بالمدرسة في السادسة من العمر، كما تعد كمؤسسة تعليم ما قبل المدرسة وكتمهيد للتعليم فيها وتظهر قيمتها باعتبارها مرحلة انتقالية بين المنزل وما يتميز به من عاطفة وألفة، والمدرسة وما تتميز به من نظام وقواعد وتحصيل دراسي ملزم.

نجد عدة دراسات في هذا الصدد أثبتت وجود علاقة ذات دلالة بين وجود الفضاء الانتقالي الذي يبرز من خلال الجانب الخيالي والقدرات الإبداعية مع التكيف والنجاح المدرسي، مثل دراسة شارف (1991) على أطفال المرحلة الابتدائية الذين قدر عددهم 160 تلميذا وتلميذة سنهم 09 سنوات، حيث قامت الباحثة بتطبيق اختبار الإبداع الذي أعده كل من Wallach و Kigan وتوصلت إلى تأكيد وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الإبداع والتكيف والنجاح المدرسي، فقد أشار مريجة ع. (2001) إلى أن الطفل القادر على تحقيق الانفصال مع المواضيع الأولى وتسيير قلق الانفصال يستطيع إبراز قدرات الخيال

واستثمارها، وهذا ما يعطيه قوة للقدرة الإبداعية الضرورية للتكيف والنجاح المدرسي، كما توصل في هذا الصدد إلى أن الأطفال القادرين على تحقيق هذا التكيف هم الأكثر تحكما في المسافة بين الواقع والخيال، وبالتالي يكتسبون القدرة على حل المشكلات الصراعية وإرصانها، أما الأطفال الذين يعانون من صعوبات تكيفية في المدرسة هم أطفال ذوو إمكانيات نفسية داخلية محدودة وليست لديهم القدرة على توظيفها في اتجاه التكيف.

من هذا المنطلق ارتأينا إجراء دراسة حول الموضوع الانتقالي عند الأطفال المسعفين وغير المسعفين، لذا نقترح التساؤلات التالية التي سنحاول الإجابة عنها من خلال هذه الدراسة:

1) هل يختلف الأطفال المسعفون في طبيعة تكوين الموضوع الانتقالي وفي إبداع وإمكانية التموضع في فضاء انتقالي عن الأطفال غير المسعفين؟

2) هل يمكن أن نتوصل من خلال تحليل معطيات المقابلة العيادية واختبار الرورشاخ إلى بروز المؤشرات الدالة على إبداع وإمكانية تموضع الأطفال المسعفين وغير المسعفين في فضاء انتقالي؟

3) كيف يمكننا أن نتنبأ بالتكيف المدرسي لدى الأطفال المسعفين وغير المسعفين انطلاقا من مؤشرات الفضاء الانتقالي لديهم؟

2- فرضيات البحث:

الفرضية العامة:

– نفترض وجود خلل في تكوين الموضوع الانتقالي وصعوبة إبداع وتموضع الأطفال المسعفين ذوي 05 سنوات المقيمين بقرية الأطفال المسعفين في فضاء انتقالي، مقارنة مع تكوين جيد للموضوع الانتقالي وإمكانية إبداع وتموضع الأطفال غير المسعفين ذوي 05 سنوات المقيمين مع أمهاتهم وعائلاتهم الحقيقية في فضاء انتقالي.

الفرضيات الجزئية:

– الفرضية الجزئية الأولى:

نفترض بروز المؤشرات الدالة على صعوبة إبداع وتموضع الأطفال المسعفين في فضاء انتقالي، من خلال المقابلة العيادية بقلة استثمار الاتصال اللفظي وصعوبة الدخول في علاقة تبادلية مع الآخر، قلة الاستثمار اللغوي، قلة الاستثمار العلائقي، قلة ظهور معالم تأسيس الذات الحقيقية، وفي اختبار الرورشاخ من خلال صعوبة الاستجابة للتعليمة المزدوجة

الإدراكية–الإسقاطية وسيطرة القطب الإدراكي على القطب الإسقاطي ب: انخفاض الإنتاجية R، عدم اعتدال نسبة الإجابات الكلية البسيطة G%، عدم اعتدال نسبة الإجابات الجزئية البسيطة D%، عدم اعتدال نسبة الإجابات الشكلية F%، غياب الإجابات الحركية الإنسانية K، عدم اعتدال نسبة الإجابات الإنسانية H%، قلة التنويع في المحتويات، عدم توفر الاستجابات الحسية، عدم اعتدال نسبة الإجابات الشائعة Ban%.

هذا مقارنة مع إمكانية إبداع وتموضع الأطفال غير المسعفين في فضاء انتقالي، من خلال المقابلة العيادية باستثمار الاتصال اللفظي وسهولة الدخول في علاقة تبادلية مع الآخر، وجود الاستثمار اللغوي والعلائقي، إضافة إلى ظهور معالم تأسيس الذات الحقيقية، وفي اختبار الرورشاخ من خلال الاستجابة المزدوجة للتعليمة الإدراكية–الإسقاطية ب: اعتدال الإنتاجية R، اعتدال نسبة الإجابات الكلية البسيطة G%، اعتدال نسبة الإجابات الجزئية البسيطة D%، اعتدال نسبة الإجابات الشكلية F%، توفر الإجابات الحركية الإنسانية K، اعتدال نسبة الإجابات الإنسانية H%، التنويع في المحتويات، توفر الاستجابات الحسية، اعتدال نسبة الإجابات الشائعة Ban%.

– الفرضية الجزئية الثانية:

انطلاقا من الفرضية العامة يمكننا أن نتنبأ بمعاناة الأطفال المسعفين من صعوبات تكيفية مدرسية مقارنة مع الأطفال غير المسعفين الذين نتنبأ لهم بتكيف مدرسي جيد.

3- المنهج المتبع:

يعتبر المنهج العيادي طريقة عامة ضمن عمل البحث وعلى المستوى المنهجي يستوجب المقارنة بين الأشخاص، الملاحظات والحوادث أو بين مجموعتين أو أكثر من الأفراد، ففي كل عمل بحث تكون المقارنة ضمنية تجعل الباحث يذهب في اتجاه مقارنة الحوادث والملاحظات حتى وإن تعلقت الدراسة العيادية بدراسة حالات، فهي لا تتم إلا بدراسة وفق نموذج نظري معين تمت دراسة عدة حالات من خلاله، ثم يتم استخلاص جميع النقاط المتشابهة والمختلفة التي تسمح بتوضيحها كما أشار إليه Perron (1995).

4- مكان إجراء البحث:

تم إجراء البحث الميداني خلال الفترة الممتدة بين شهر نوفمبر 2011 إلى شهر جانفي 2012 وتحديدا بروضة الأطفال التابعة لقرية الأطفال المسعفين بدرارية.

5- اختيار مجموعة البحث:

تتكون مجموعة البحث من أربعة أطفال مسعفين لا يعيشون مع أمهاتهم البيولوجية ويقيمون بقرية الأطفال المسعفين مع أمهات بديلات، وأربعة أطفال غير مسعفين يعيشون خارج القرية مع أمهاتهم وعائلاتهم البيولوجية.

6- تقنيات البحث

1-6 المقابلة العيادية النصف موجهة:

تعرف المقابلة العيادية النصف موجهة حسب Chiland (1983) على أنها تقنية تسمح بضبط بعض الأسئلة وتطبيقها على الحالات، حيث يقوم الفاحص ببناء دليل مقابلة يحتوي على محاور متضمنة لأسئلة حول موضوع البحث، ويترك للمفحوص حرية الإجابة في إطار أسئلة هذه المحاور، حيث تعتمد على علاقة الفاحص والمفحوص مباشرة وتعمل على توطيد هذه العلاقة.

– مؤشرات الفضاء الانتقالي من خلال المقابلة العيادية

تبرز مؤشرات إمكانية إبداع فضاء انتقالي والتموضع فيه من خلال الاتصال اللفظي والالتقاء مع الآخر ولو أنه سوف يعمق باستعمال اختبار الرورشاخ، حيث يظهر ذلك حسب ما أوردته Emmanuelli (2004) من خلال النشاط النفسي للفرد أمام العيادي والاهتمام بالتبادل اللفظي واستثماره، مع إمكانية نشره في العلاقة عبر الاتصال اللفظي وما وراء اللفظي الذي يظهر من خلال العفوية، الحماس، المرونة والمبادرة بتقديم الإجابات والتفاعل معها، حيث تركز Chiland (1983) على الأخذ بعين الاعتبار في تحليل المقابلة الإمكانيات اللغوية والقدرة على تنشيط المعاش النفسي، والاستثمار اللغوي الغني والعميق الذي يتميز بالتنظيم والتسلسل المدعم بوجود التداعيات وبناء تصورات ثرية حول الأسئلة، إضافة إلى الاستثمار العلائقي مع أفراد المحيط بوجود التبادلات الاجتماعية التفاعلية والاتصالات مع الآخرين والتعبير عن الوجدانات والعلاقات المتبادلة.

يجب التركيز على ظهور نشاط اللعب واللعب المشترك، حيث يتحدث Winnicott عن تطور مباشر للظواهر الانتقالية إلى اللعب، وتطور هذا الأخير إلى اللعب المشترك (in Assoun, 1994)، ومدى استعمال القدرات الترميزية والتقمصية وبروز معالم الذات الحقيقية من خلال الاستقلالية عن الآخرين، قلة التبعية لهم والمبادرة في التفوق عليهم وقيادتهم، حيث يرى Lehmann (2004) أنه إذا شكل عجز المحيط عائقا في بناء الفضاء الانتقالي فهنالك

خطر حصول تفكك بين عالم الطفل الداخلي وتكيفه مع العالم الخارجي بما يعرف بالذات الزائفة، فعلى عكس الذات الحقيقية نجد أن الذات الزائفة ليست مبدعة ولا تعطي للطفل الشعور بأنه واقعي كما لا يتميز بأية تلقائية بل بالتبعية والخضوع الكلي، فهي ذات منشطرة متأثرة بالاختلالات الآتية من الواقع الخارجي (Golse, 2008).

هذا إضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار ظهور الرغبة في تأكيد الذات عن طريق الإسقاطات المستقبلية الهامة ونشاطوعمق المجال الخيالي كما جاءت به الباحثة سفاري (2010).

6-2 اختبار الرورشاخ

وصف Anzieu وChabert (1987) اختبار الرورشاخ الإسقاطي مثل أشعة X التي تخترق عمق الشخصية، والذي يحدد نواتها بناءا على مادة كاشفة تتمثل في لوحات الاختبار التي تضع تحت الضوء ما هو مخفي أين يصبح الكامن ظاهرا والداخل سطحيا، كما يتم الكشف من خلاله عن ما هو ثابت ومؤسّس في الشخصية، حيث أشار Malan (1979) إلى أنه يمكن لاختبار الرورشاخ الوصول إلى مجالات أو جوانب لا تستطيع المقابلة العيادية وحدها الوصول إليها، فهو يهدف إلى دراسة الشخصية وتشخيصها على أساس الإسقاط وصعوبته تكمن في المهارة التي يتطلبها تفسير نتائجه.

يمكننا اعتبار أن الوضعية الإسقاطية قادرة على إثارة السلوكات التي تنتمي إلى الظواهر الانتقالية، حيث يستدعي الاختبار الإسقاطي عالما مزدوج السير عن طريق الرجوع إلى الحقيقي واللجوء إلى الخيالي، إذ يتم النظر إلى المواضيع الظاهرة في اللوحات كأشكال عادية قريبة من الواقع، وفي نفس الوقت يتم استثمارها لاستثارة سيناريو هوامي بإدخال الفرد مفهومها الذاتي إلى ميدان الوهم حسب Anzieu وChabert (1987)، ف: "الوضعية الإسقاطية قادرة على تحريض السلوكات التي تشرك سيرا انتقاليا من حيث كونها تعترف بازدواجية السلوكات النفسية، بالرجوع إلى الواقع عبر مادة الاختبار واللجوء إلى الخيال والوهم عبر الإسقاط انطلاقا من موضوع الاختبار" (Chabert, 1998, p. 35).

– مؤشرات الفضاء الانتقالي من خلال اختبار الرورشاخ

سنعتمد في دراستنا على مؤشرات أساسية في اختبار الرورشاخ تدل على إمكانية إبداع فضاء انتقالي والتموضع فيه من خلال الاستجابة للتعليمة المزدوجة الإدراكية-الإسقاطية، التي تتمثل في:

– إنتاجية معتدلة R: اعتدال الإجابات في البروتوكول دليل على غنى الفضاء الخيالي، أما انخفاضها فيشير إلى فقره كما أشارت إليه Rauch de Traubenberg (1970).

– اعتدال نسبة الإجابات الكلية البسيطة G%: يدل اعتدالها حسب Chabert (1998) على توفر نشاط داخلي إبداعي، ووجود قدرات فكرية داخلية وتكيف مع العالم الخارجي.

– اعتدال نسبة الإجابات الجزئية البسيطة D%: يشير اعتدال نسبتها إلى وجود نشاط فكري تحليلي داخلي، من خلال الاستجابة للتأثير الخارجي لمادة الاختبار كما وضحته Rauch de Traubenberg (1970)، حيث تدل طرق التناول عموما على القيام بربط العلاقة بين عالم المواضيع الخارجية والمواضيع الداخلية (Chabert 1998).

– اعتدال نسبة الإجابات الشكلية F%: يدل ارتفاع نسبتها عن المعدل العام على الامتثالية والتكيف المزيف من خلال التعلق بالمعطيات الخارجية على حساب الجوانب الداخلية، أي التناول الإدراكي لمادة الاختبار وغلبة الجانب الموضوعي على الجانب الذاتي، كما يشير إلى عدم استقرار سياقات التمايز أنا–لاأنا من خلال صعوبة استخدام الحدود بين الداخل والخارج كفضاء وسيطي تبادلي بينهما، فالإفراط في التناول الشكلي للمدرك يعمل على كبح الهوامات والوجدانات، ويدل على عدم استثمار العالم الداخلي والتبعية للعالم الخارجي (Chabert, 1998).

– توفر الإجابات الحركية الإنسانية K: ترى Chabert (1998) أن الاستجابات الحركية الإنسانية دليل على وجود قدرات تصورية وحركات إسقاطية قادرة على القيام بنشاط تصوري، كما تُبرز قدرة الفرد على الانخراط في فضاء انتقالي وتُعبّر عن وجود حركة دينامية في المرور بين الداخل والخارج، حيث يشير غيابها المترافق مع غلبة عوامل التصلب والكف إلى فقر هوامي وصعوبة بل حتى استحالة التموضع في مساحة سير انتقالي، وبالتالي تبرز تبعية مفرطة للمحيط الخارجي، حيث تعبر عن ذلك في قولها: "يدل غياب الحركات الإنسانية على استحالة التموضع في مساحة انتقالية تسمح باللعب الكموني بين الواقع والخيال...، مما يشير إلى صعوبة الجمع بين تناقضات العالم الداخلي والخارجي" (Chabert, 1998, p. 115).

تعتبر Chabert (1998) أن التصور الحي للذات في الرورشاخ هي الإجابات الحركية في بعدها الدينامي، باعتبارها تترجم ما يتحرك وينشط من خلال الأشكال حيث يظهر طابعها الوسيطي بين المدرك حسيا وما يتم إسقاطه، فالوضعية الإسقاطية تسمح بتهيئة فضاء انتقالي تترجم فيه الصور، الحركات والأفكار، لذا ينبغي الانتباه لكل تظاهرة حركية حتى وإن كانت دقيقة، فحضورها دليل على مشهد حي ونشيط.

– اعتدال نسبة الإجابات الإنسانية H%: يترافق غياب الإجابات الحركية الإنسانية حسب Chabert (1998) مع غياب التصورات والتقمصات الإنسانية، مما يشير إلى غياب صورة الذات وصعوبة تصور علاقات إنسانية واستثمارها في فضاء انتقالي.

– التنويع في المحتويات: يشير ذلك إلى وجود استثمار ثري للعالم الخارجي إضافة إلى غنى التصورات والإدراكات، وفي حالة ظهور محتويات مقولبة بدون سمك هوامي أو تنويع، فذلك يدل على صلابة الفكر وعدم فعالية النشاط النفسي كما أوردته Chabert (1998).

– توفر الاستجابات الحسية: يشير غيابها إلى عدم القدرة على استثمار الحياة الوجدانية والعاطفية من خلال إدراك المثير الخارجي (Ibid).

– اعتدال نسبة الإجابات الشائعة Ban%: يدل ارتفاع نسبة الإجابات الشائعة على فقر المجال الخيالي، وعلى الامتثالية والتبعية الشديدة للعالم الخارجي حسب Rauch de Traubenberg (1970).

7- عرض و تحليل نتائج البحث

سنتطرق في عرض وتحليل نتائج البحث إلى تقديم حوصلة عامة للنتائج التي تم التوصل إليها من خلال تحليل المقابلات العيادية ونتائج اختبار الرورشاخ الإسقاطي لدى كل مجموعة، حيث تتميز كل واحدة بخصائص مشتركة فيما يتعلق بمعطيات مقابلاتهم العيادية وبروتوكولات اختبار الرورشاخ وهذا دون إلغاء الصبغة الفردية الخاصة بكل طفل مفحوص.

توصلنا من خلال تحليل المقابلات العيادية مع الأطفال المسعفين إلى ما يلي:

– صعوبة الدخول في علاقة تبادلية مع الآخر، قلة الاستثمار اللفظي ومحدوديته كما ورد ذو طابع مباشر وسطحي، ضعف الاستثمار العلائقي، نقص العفوية والفضول والحماس والمبادرة والمرونة، ضعف معالم الذات الحقيقية من خلال التبعية الشديدة للآخرين وقلة المبادرة في التفوق عليهم وقيادتهم، بروز الحاجة الشديدة للرعاية الأمومية والشعور القوي بالحرمان العاطفي وعدم الأمان مما أدى إلى صعوبة تحمل قلق الانفصال وتحقيق القدرة على البقاء وحيدا، ضعف الاستثمارات المستقبلية، الصلابة في التمسك بنفس الأساليب الدفاعية من خلال سيطرة سياقات الرقابة A المرفقة بسياقات التجنب C كدفاع وبروز السياقات الأولية E.

توصلنا من خلال تحليل نتائج اختبار الرورشاخ مع الأطفال المسعفين إلى توفر أغلبية المؤشرات الدالة على سيطرة القطب الإدراكي على حساب القطب الإسقاطي وصعوبة الاستجابة للتعليمة المزدوجة الإدراكية–الإسقاطية من خلال ما يلي:

– ارتفاع معدل نسب الإجابات الكلية البسيطة G%.

- انخفاض معدل نسب الإجابات الجزئية البسيطة %D.
- ارتفاع معدل نسب الإجابات الشكلية %F.
- انعدام الإجابات الحركية الإنسانية K.
- انخفاض معدل نسب الإجابات الإنسانية %H.
- محتويات قليلة التنويع.
- انخفاض معدل نسب الإجابات الشائعة %Ban.

تشير المعطيات السابقة إلى توافق النتائج المشتركة لتحليل المقابلات العيادية مع النتائج المشتركة لتحليل بروتوكولات اختبار الرورشاخ عند الأطفال المسعفين، والتي تدل على صعوبة إبداع فضاء انتقالي تبادلي مع الآخر يجمع بين مفارقات العالم الداخلي والخارجي، الحقيقي والهوامي، الإدراكي والإسقاطي، وهذا ما يشير إلى وجود خلل في تكوين الموضوع الانتقالي عند الأطفال المسعفين.

توصلنا من جهة أخرى في تحليل المقابلات العيادية مع الأطفال غير المسعفين إلى معطيات مشتركة بينهم تتمثل في:

- إمكانية الدخول في علاقة تبادلية مع الآخر، مرونة الاتصال اللفظي والقدرة على استثماره وتميزه بغنى التصورات مع وجود تداعيات، وجود استثمارات علائقية، ظهور معالم الذات الحقيقية من خلال بروز العفوية والمبادرة والمرونة والثقة بالنفس، إضافة إلى الشعور بالاستقلالية عن الآخرين والانتماء لهم في نفس الوقت وظهور المبادرة في التفوق والقيادة، تحقيق القدرة على البقاء وحيدا نتيجة وجود صورة أمومية ووالدية جيدة وقوية تضمن سلامة الأنا والموضوع الداخلي، بروز التقمص مع إسقاطات مستقبلية ثرية تدور كلها حول الرغبة في تأكيد الذات مستقبلا، المرونة في الدينامية الدفاعية.

من خلال نتائج اختبار الرورشاخ مع الأطفال غير المسعفين توصلنا إلى توفر أغلبية المؤشرات الدالة على الاستجابة للتعليمة المزدوجة الإدراكية–الإسقاطية مما يدل على إمكانية إبداعهم وتموضعهم في فضاء انتقالي، ويظهر ذلك فيما يلي:

- اعتدال معدل نسب الإجابات الكلية البسيطة %G.
- اعتدال معدل نسب الإجابات الجزئية البسيطة %D.
- اعتدال معدل نسب الإجابات الشكلية %F.
- توفر الإجابات الحركية الإنسانية K.
- اعتدال معدل نسب الإجابات الإنسانية %H.
- محتويات متنوعة.
- اعتدال معدل نسب الإجابات الشائعة %Ban.

تشير المعطيات السابقة إلى توافق النتائج المشتركة للمقابلات العيادية مع النتائج المشتركة لاختبار الرورشاخ عند أغلبية الأطفال غير المسعفين، والتي ترمي إلى إمكانية إبداع فضاء انتقالي تبادلي مع الآخر يجمع بين مفارقات العالم الداخلي والخارجي، الحقيقي والهوامي، الإدراكي والإسقاطي، وهذا ما يدل على تكوين الأطفال غير المسعفين لموضوع انتقالي جيد.

8- مناقشة فرضيات البحث:

مما سبق وبالرجوع إلى فرضيات البحث يمكن ايراد النقاط التالية:

– بروز المؤشرات الدالة على صعوبة إبداع وتموضع الأطفال المسعفين في فضاء انتقالي، من خلال المقابلة العيادية بقلة استثمار الاتصال اللفظي وصعوبة الدخول في علاقة تبادلية مع الآخر، قلة الاستثمار اللغوي، قلة الاستثمار العلائقي، قلة ظهور معالم الذات الحقيقية، وفي اختبار الرورشاخ من خلال صعوبة الاستجابة للتعليمة المزدوجة وسيطرة القطب الإدراكي على القطب الإسقاطي بـ: انخفاض الإنتاجية R، عدم اعتدال نسبة الإجابات الكلية البسيطة G%، عدم اعتدال نسبة الإجابات الجزئية البسيطة D%، عدم اعتدال نسبة الإجابات الشكلية F%، غياب الإجابات الحركية الإنسانية K، عدم اعتدال نسبة الإجابات الإنسانية H%، قلة التنويع في المحتويات، عدم توفر الاستجابات الحسية، عدم اعتدال نسبة الإجابات الشائعة Ban%.

هذا مقارنة مع إمكانية إبداع وتموضع الأطفال غير المسعفين في فضاء انتقالي، من خلال المقابلة العيادية باستثمار الاتصال اللفظي وإمكانية الدخول في علاقة تبادلية وتفاعلية مع الآخر، وجود الاستثمار اللغوي والعلائقي، إضافة إلى ظهور معالم الذات الحقيقية، وفي اختبار الرورشاخ بإمكانية الاستجابة المزدوجة للتعليمة الإدراكية–الإسقاطية من خلال: اعتدال الإنتاجية R، اعتدال نسبة الإجابات الكلية البسيطة G%، اعتدال نسبة الإجابات الجزئية البسيطة D%، اعتدال نسبة الإجابات الشكلية F%، توفر الإجابات الحركية الإنسانية K، اعتدال نسبة الإجابات الإنسانية H%، التنويع في المحتويات، توفر الاستجابات الحسية، اعتدال نسبة الإجابات الشائعة Ban%، هذه الفرضية الجزئية الأولى قد تحققت بشكل جزئي.

اعتمادا على ما سبق في الفرضية الجزئية الأولى يمكن القول بأن الفرضية العامة المحركة لهذا البحث والتي مفادها:

– نفترض وجود خلل في تكوين الموضوع الانتقالي وصعوبة إبداع وتموضع الأطفال المسعفين ذوي 05 سنوات المقيمين بقرية الأطفال المسعفين في فضاء انتقالي، مقارنة مع تكوين

جيد للموضوع الانتقالي وإمكانية إبداع وتموضع الأطفال غير المسعفين ذوي 05 سنوات المقيمين مع أمهاتهم وعائلاتهم الحقيقية في فضاء انتقالي قد تحققت بشكل جيد.

انطلاقا من الفرضية العامة والفرضية الجزئية الأولى أي نتيجة وجود خلل في تكوين الموضوع الانتقالي وصعوبة إبداع وتموضع الأطفال المسعفين في فضاء انتقالي، مقارنة مع تكوين جيد للموضوع الانتقالي وإمكانية إبداع وتموضع الأطفال غير المسعفين في فضاء انتقالي، يمكننا أن نتنبأ بمعاناة الأطفال المسعفين من صعوبات تكيفية مدرسية مقارنة مع تكيف مدرسي جيد بالنسبة للأطفال غير المسعفين، وتبقى هذه الفرضية ذات بعد تنبؤي.

9- الاستنتاج العام:

تطرقنا في الاستنتاج العام إلى تفسير النتائج التي توصلنا إليها، حيث يرجع الاختلاف بين الأطفال المسعفين الذين أظهروا خللا في تكوين الموضوع الانتقالي وصعوبة التموضع في فضاء انتقالي مقارنة مع أغلبية الأطفال غير المسعفين الذين أبرزوا عكس ذلك إلى إعاقة استدخال الأطفال المسعفين لمشهد نفسي داخلي كلي وبصورة دائمة، وصعوبة تشكيل موضوع داخلي جيد بكفاية نتيجة الحرمان الأمومي باختلاف سن انفصالهم عن أمهاتهم وضعف العلاقات ذات النوعية الجيدة مع الموضوع، مقارنة مع الأطفال غير المسعفين الذين يمتلكون موضوعا انتقاليا جيدا وبإمكانهم إبداع فضاء انتقالي غني، وذلك نتيجة استدخالهم لصورة جيدة بكفاية وتشكيل موضوع داخلي جيد لموضوع خارجي حي وواقعي وجيد بكفاية يتمثل في الأم، العنايات الأمومية والمحيط العاطفي.

خاتمة

بعد تفسير النتائج العامة للبحث وإجراء المقارنة بينها توصلنا في الأخير إلى إبراز أهمية الدور الأمومي الجيد بكفاية، العنايات الأولية والمحيط العاطفي، وأهم الآثار السلبية لانفصال أو انقطاع هذا الرابط على مختلف الجوانب النفسية والعلائقية من تطور الطفل، حيث توصلنا في آخر المطاف إلى إبراز أهمية العلاقة الأساسية بين الموضوع الانتقالي، الموضوع الداخلي والموضوع الخارجي الذي يُؤثر بنوعيته على مدى تشكيل موضوع داخلي جيد بكفاية، هذا الأخير الذي يُعتمَد عليه في تكوين موضوع انتقالي وإبداع فضاء انتقالي.

المراجع

أ- مراجع اللغة العربية:

1- سفاري، ل. (2010). **الموضوع الانتقالي لدى المعتدين جنسيا عبر إنتاجهم الإسقاطي**. رسالة ماجستير في علم النفس العيادي. جامعة الجزائر 02.
2- شارف، ج. (1991). **علاقة القدرة على التفكير الإبتكاري بالتحصيل الدراسي، دراسة سيكولوجية**. رسالة ماجستير في علم النفس المدرسي. جامعة الجزائر 02.
3- مريجة ع. (2001). **الإبداع في وضعية الاختبارات الإسقاطية، دراسة عيادية ومقارنة لمستويات الإبداع عند الأطفال**. رسالة ماجستير في علم النفس العيادي. جامعة الجزائر 02.

ب– مراجع اللغة الأجنبية

4- Ajuriaguerra, J.& Marcelli, P. (1982). *Psychologie de l'enfant.* Paris, Masson.
5- Anzieu, D., & Chabert, C. (1987). *Les méthodes projectives*. Paris, P.U.F.
6- Assoun, P. L. (1994). *Le fétichisme*. Paris, P.U.F.
7-Chabert, C. (1998). *Psychanalyse et méthodes projectives*. Paris, Dunod.
8- Chiland, C. (1983). *L'entretien clinique*. Paris, P.U.F.
9-Emmanuelli, M. (2004). *L'examen psychologique en clinique*. Paris, Dunod.
10- Freud, S. (1901). *Cinq psychanalyses*. Paris, P.U.F., 1954
11-Golse, B. (2008). *Le développement affectif et intellectuel de l'enfant*. Paris, Masson.
12- Haesevoets, Y. H. (2000). *L'enfant en question, de la parole à l'épreuve du doute dans les allégations d'abus sexuels*. Paris, De Boeck université.
13- Lehmann, J-P. (2004). *La clinique analytique de Winnicott.* Paris, *Eres.*
14-Malan, D. (1979). *Psychodynamique et psychothérapie individuelle.* Bruxelles, Pierre Mardaga.
15- Perron, R. (1995). *L'examen psychologique de l'enfant*. Paris, P.U.F.
16-Rauch de Traubenberg, N. (1970). *La pratique du Rorschach.* Paris, P.U.F.
17- Reymond-Rivier, B. (1997). *Le développement social de l'enfant et de l'adolescent*. Bruxelles, Pierre Mardaga.
18- Winnicott, D. W. (1969). *De la pédiatrie à la psychanalyse*. Trad Kalmanovitch J., Paris, Science de l'homme Payot.